

# السعادة

" طوبى للشعب الذي الرب إلهه " (مز 144: 15) .

السعادة هي صفة مميزة لأولئك الذين يعيشون في علاقة صحيحة مع الله . أما الآخرون فلا يختبرون السعادة الحقيقية والدائمة. وأريد أن أتأمل في موضوع " السعادة " تحت ثلاثة عناوين:

## 1 - المقومات الأساسية للسعادة :

كل واحد يحب أن يكون سعيداً . هذا أمر طبيعي ، لكن الواقع أن قليلاً من الناس ، يدرك ما هي السعادة . وأريد أن أوضح لكم بعض المقومات الأساسية للسعادة .

السعادة الحقيقية ليست هي التحرر الكامل من الحزن والمشقة. مثل هذه السعادة لا يمكن أن توجد في هذا العالم الساقط المليء بالخطية . كما أن السعادة الحقيقية ليست في الضحك والابتسام، فالكثيرون يضحكون عالياً ، ويبدون سعادة في مجالسهم ، ولكنهم من الداخل يائسون ، وخائفون من الوحدة ، فلا تتخدع بالمرح العالمي الخاوي والظاهري .

لكي يكون الإنسان سعيداً حقاً ، يجب أن تشبع احتياجاته الداخلية، فالطفل الصغير يكون سعيداً ، عندما يأكل ويلبس ويرتمي بين ذراعي أمه ، لأن كل احتياجاته تكون قد أشبعت . وهذا ينطبق علينا أيضاً ، فلكي نكون في سعادة حقيقية ، يجب أن نشبع احتياجاتنا الداخلية .

ما هي احتياجاتنا الداخلية ؟ إنها ليست تلك الاحتياجات الجسدية، فالإنسان له عقل وضمير ، وعنده إحساس داخلي أن هذه الحياة ليست هي كل شيء بل توجد حياة أخرى بعد القبر . إنه يدرك تماماً أنه لا يحتاج لإشباع احتياجاته الجسدية فحسب ، بل لإشباع احتياجات نفسه وضميره أيضاً .

إذا أردنا أن نكون سعداء حقاً ، فيجب ألا نتوقف سعادتنا على أي شيء في هذا العالم . كل شيء على الأرض متقلب وغير مضمون . وكل ما يستطيع المال أن يشتريه هو زائل . كل علاقاتنا سوف تنتهي بالموت ، لذلك فالسعادة الدائمة لا يمكن أن تعتمد على مثل هذه الأشياء . لكي نكون سعداء حقاً ، يجب أن تكون لدينا القدرة على التطلع إلى ما حولنا ، دون أن ينتابنا الشعور بعدم الارتياح . يجب أن تكون لدينا القدرة على النظر للماضي دون مخاوف الشعور بالذنب ، وعلى التطلع للمستقبل دون قلق . فإذا لم تستطع أن تنظر إلى الماضي والمستقبل بارتياح فلن تكون سعيداً . قد تكون ظروفك الحاضرة طيبة ، لكن هذا ليس كافياً لأن تكون سعيداً .

## 2 - أخطاء شائعة عن السعادة :

الكثيرون يبحثون عن السعادة في غير مكانها . وأريد الآن أن أذكرك بوضوح من بعض الأخطاء الشائعة بشأن الطريق إلى السعادة.

إن **الإنجاز والنجاح** لا يحققان السعادة ، فالناجحون ليسوا بالضرورة سعداء ، فنجاحهم نفسه كثيراً ما تكون له مشاكله . **الثراء** أيضاً لا يحقق السعادة ، فالأثرياء يمكنهم أن يشتروا كل شيء ، ما عدا السلام الداخلي . **التعليم والمعرفة** لا يحققان السعادة . قلوبنا وضمائرنا تحتاج إلى طعام مثلما تحتاج عقولنا ، فالمعرفة العالمية لا تعطي للإنسان سعادة عندما يفكر في الموت ، كذلك **الحياة المترفة** لا تجلب السعادة . كثيراً ما يُجرب الإنسان الذي يعمل بأن يتمنى لو لم يكن لزاماً عليه أن يذهب للعمل ، وأن يقضي حياته كما يريد ، لكن الله عمل الإنسان ليعمل ، والعمل أساسي لسعادتنا . كما أن **الملذات** لا يمكن أن تحقق السعادة ، فالبعض يقضون أوقاتهم في البحث عن اللذة ، كالطفل الذي يلعب بدميه، لكن حتى الطفل لا يظل يلعب بدميته طوال اليوم . والرجال والنساء لهم مهام أسمى يجب أن ينشغلوا بها عوضاً عن السعي الدائم وراء الملذات .

أودّ أن أخبركم بصراحة ، أنه إذا ما فكرتم في أي من هذه الأشياء كطريق للسعادة ، فأنتم مخطئون تماماً . لأن كل الخبرة البشرية ضد ذلك ، فالملك سليمان مثلاً كان له السلطان والحكمة والغنى أكثر كثيراً من أي إنسان آخر في عصره ، لكنه يقول في اعترافه الخاص ، أنه اختبر السعادة التي يمكن أن توجد في كل هذه الأشياء ، وها هو يسجل استنتاجه ، مكتوباً

بوحى الروح القدس : " الكلب باطل وقبض الريح " (جا 1 : 14) . وهناك أمثلة أخرى لا تحصى نجدها عبر التاريخ ، لرجال ونساء قد بحثوا عن السعادة في مواضع خاطئة . فقد حققوا أهدافهم في الحياة ، لكنهم لم يجدوا السعادة والسلام .

هل أنت شاب ؟ أناشدك - لا تقضي حياتك بحثاً عن السعادة، حيث لا يمكنك أن تجدها . هل أنت فقير ؟ هل تفكر أنك ستكون سعيداً عندما تصبح غنياً؟ قاوم هذا الإغراء . يوجد الكثير من البؤس بين الأغنياء كما هو بين الفقراء . أناشدكم جميعاً أن تتذكروا أن هذه الأخطاء بشأن الطريق إلى السعادة موجودة . فتعلموا أن تبحثوا عن السعادة حيث توجد فعلاً .

### 3 - الطريق إلى السعادة :

أخيراً - دعني أوضح لك الطريق لكي تكون سعيداً حقاً . هناك طريق يقود كل من يسلك فيه إلى السعادة الحقيقية . إنه ليس طريقاً غامضاً ، أو مشكوكاً به . إن السعادة الحقيقية متاحة للجميع ، لكن يوجد طريق واحد فقط ، وكل الذين يرغبون أن يكونوا سعداء ، عليهم أن يسلكوا فيه .

الطريق الوحيد لكي تكون سعيداً هو أن تكون مسيحياً حقيقياً جاداً ومن القلب . المسيحي الحقيقي هو الإنسان الوحيد الذي يتمتع بالسعادة الحقيقية .

أنا لا أقصد بالمسيحي الحقيقي كل من يدعو نفسه مسيحياً . أنا أقصد الشخص الذي قد تعلم بالروح القدس أن يشعر بخطاياها ، والذي وضع كل رجائه وثقته في الرب يسوع المسيح ، الشخص الذي وُلِدَ ثانيةً ، والذي يعيش حياة روحية مقدسة .

وعندما أقول عن ذلك الشخص أنه سعيد حقاً ، فأنا لا أقصد أنه لا يعاني أي مشاكل أو قلق ، أو أنه لا يذرف الدموع مطلقاً ، لكن يملك في أعماق قلبه سلاماً ثابتاً وفرحاً حقيقياً . وتلك هي السعادة ، أنا لا أقول إن كل المسيحيين متساوون في سعادتهم، لكن بالمقارنة مع أهل العالم ، فكلهم أناس سعداء .

إن المسيحي الحقيقي له سلام في ضميره . هو يدرك أن المسيح أبعد عنه خطايا . إنه وحده الذي يعيش في طمأنينة مع نفسه، لأنه يعلم أنها في أمان في المسيح . إنه وحده الذي له مصادر السعادة، التي لا تعتمد على هذا العالم ، فمهما تغيرت ظروفه الأرضية ، فإن صديقه في السماء لن يتغير . المسيحي الحقيقي يتّمسك الهدف الذي من أجله قد خلقه الله . الإنسان غير المجدّد لا يتّمسك هذا الهدف ، ولا يستطيع أن يكون سعيداً .

بدون المسيح ، لا يوجد إنسان في هذا العالم يمكن أن يكون سعيداً حقاً ، رغم الظروف المحيطة به ، لكن مع المسيح ، يستطيع الإنسان أن يكون سعيداً رغم كونه فقيراً ، ويستطيع أن يكون سعيداً بالرغم من كونه مريضاً ، ويستطيع أن يكون سعيداً رغم كل المتغيرات السياسية والاجتماعية . إن سعادته لا تعتمد على ظروفه الحاضرة . إنه يدرك تماماً أن " للصديق خير " (اش 3: 10) .

### الرد على الاعتراضات :

عندما تقرأ هذه الكلمات ، هل يملأ إبليس رأسك بالاعتراضات على ما أقول ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فأنا لست خائفاً من مواجهة هذه الاعتراضات مباشرة .

ربما تفكر أنك تعرف أناساً متدينين ولكنهم ليسوا سعداء . لكن هل أنت متأكد أن هؤلاء الناس مؤمنون حقيقيون في المسيح ؟ كثيرون لا يحملون من المسيحية إلا الشكل الخارجي فقط ، ولا يجب أن نتوقع أن مثل هؤلاء الناس يمتلكون الفرح والسلام الداخليين .

وربما تعرف بعض الناس الروحيين الحقيقيين ، والذين لا تبدو عليهم السعادة، فهم يشكون كثيراً في قلوبهم . إنهم يبكون بالشكوك والقلق والمخاوف . في الواقع يؤسفني وجود مثل هؤلاء المؤمنين . إنهم بعيدون كثيراً عن امتيازاتهم، ويبدو أنهم لم يختبروا هذا الفرح والسلام . ولكن هل سألت أحدهم مرة إذا كان يمكنه أن يتخلى عن إيمانه ويرجع للعالم ؟ هل فكرت أن تسألهم إن كانوا يعتقدون أنهم سيكونون أحسن حالاً إذا ما كفوا عن تبعية الرب يسوع؟ إذا ما سألتهم هذه الأسئلة ، فإن أضعف وأقل مؤمن ، سوف يعطيك جواباً واحداً : " إيماننا يمكن أن يكون ضعيفاً ، وفرحنا في المسيح غير موجود تقريباً ، لكننا لن

نتخلى مطلقاً عن تبعية المسيح ". إن جذور السعادة موجودة - برغم كل هذا - حتى إن كنت لا تستطيع أن ترى أوراقاً ولا أثماراً .

لكن ربما تقول لي ، أنك لا تعتقد أن معظم المسيحيين سعداء، لأنه تبدو عليهم الكآبة والجديّة . هل سألت نفسك مرة لماذا هم جادّون ؟ هل تتوقع منهم ألا يشعروا بأي أسف عندما يرونك في طريقك إلى الجحيم ؟ سأل مرة فيلسوف متعلم قسيساً : لماذا يبدو الناس المتديّون دائماً في كآبة وحزن ؟ فأجابه القسيس: إن منظرِك - يا مستر هوم - يجعل أي مسيحي يشعر بالحزن . فقط عندما تتجدّد، ستستطيع أن تقدّر وقار المسيحيين تقديراً صحيحاً . لكنك عندما تراهم في شركة ، حيث يكون الجميع بقلب واحد، وكلهم يحبون المسيح ، فأني أقول لك - عن اختبار - أنك لن تجد أحداً سعيداً حقاً، كالمؤمنين الحقيقيين . لذلك ، أكرّر تأكيدي ، أنه لا توجد سعادة في العالم ، يمكن مقارنتها بالسعادة التي للمؤمن الحقيقي .

### الخلاصة

في الختام ، دعوني أناشد ضمائر كل القراء .  
1 - دعني أسألك سؤالاً : هل أنت سعيد ؟ إذا كنت تحيا لأجل هذا العالم ، فأنت تعلم في قلبك أنك لست سعيداً حقاً . دعني أذكرك في المحبة ، إنك لن تكون سعيداً على الإطلاق ، طالما أنك تدير ظهرك لله وللمسيح .

2 - دعني أقدم لك تحذيراً ، إن من حماقة أن تحيا حياة لن تستطيع أن تسعدك . أنتم " تزنون فضة لغير خبز وتعيبكم لغير شبع " (اش 55 : 2) . طريق الخلاص هو نفسه طريق السعادة . إن رفضت طريق الخلاص فلن تجد طريق السعادة على الإطلاق .

3 - أناشدك أن تبحث عن السعادة في المكان الوحيد الذي يمكن أن توجد فيه . إنها توجد في المسيح وحده . إنه الوحيد الذي يستطيع أن يمنحك إياها . تعال إليه، معترفاً بخطاياك وبؤسك ، تعال إليه طالباً الرحمة والغفران والحياة الجديدة . لا تؤجل لأي سبب ، تعال إليه الآن .

4 - دعني أقدم بعض النصح للمؤمنين الحقيقيين ، بشأن كيفية زيادة سعادتهم .

**أولاً -** اجتهد أن تنمو في النعمة يوماً بعد يوم . احذر أن تظل على ما أنت عليه ، أو أن تعيش على اختبار الماضي . اجتهد أن تتقدم للأمام . اقرأ الكتاب المقدس بأكثر جدية وصلّ بحماس أكثر ، ابغض الخطية أكثر ، وانكر نفسك أكثر . احفظ ضميرك نقيّاً من الخطايا الصغيرة ولا تحزن الروح القدس . تأكد أن أقدس الناس هم دائماً أسعدهم .

**ثانياً -** اجتهد أن يزداد شكرك لله يوماً بعد يوم . تعلم أن تسبح الله أكثر من أجل صلاحه .

**ثالثاً -** اجتهد أن تعمل صلاحاً أكثر يوماً بعد يوم . " *إن الله صالح ومحسن* " (مز 119 :68) . اجتهد أن تكون مشابهة لله بأن تعمل الصلاح . يوجد دائماً شيء تستطيع أن تعمله لله ، اجتهد أن تجده وأن تعمله . تذكر أن المسيحي الذي يمسك العصا من المنتصف ، والمتراجع ، لن يحظى أبداً بالسلام الكامل . إن أكثر المسيحيين التزاماً ، هم دائماً أسعد الناس .